المحاضرة السابعة : جمع القرآن في زمن الصحابة رضي الله عنهم والشبه الموجه إليهم

المرحلة الثانية من الجمع القرآني وشبههم حولها :

جمع القرآن الكريم في عهد خليفة رسول الله ـ صلىالله‌عليه‌وسلم ـ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ :
أثار المستشرقون مجموعة من الشبهات على الجمع في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

الشبهة الأولى :
ذكر «بلاشير» عدة أقوال في أول جامع للقرآن. زعم «بلاشير» : أن الجمع بدأ في عهد أبي بكر ، وتم في عهد عمر ، وقال : بل هو أول جامع للقرآن عمر نفسه. وقول آخر الجامع هو سالم. وقول آخر : إن أول من جمع هو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وزعم «كازانوفا» أن الجمع تم في عهد الحجاج (١).

الجواب :
لما تولى الخلافة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ـ صلىالله‌عليه‌وسلم ـ كان أول عمل قام به محاربة المرتدين. فلما وقعت «موقعة اليمامة» سنة اثنتي عشرة للهجرة استحر القتل في الصحابة ومات من حفاظ القرآن الكريم خلق كثير قيل : خمسمائة ، وقيل : سبعمائة. فخشي الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يكثر القتل في القراء في بقية المواطن. وربما يضيع شيء من القرآن بموتهم ، لذا أشار عمر الفاروق على أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أن يجمع القرآن في مكان واحد فلما رأيا المصلحة وقواعد الدين تدعو لذلك ، أوكلا أمر جمعه لزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) مقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٣٣ ـ ٣٤ ، ٦٨ والقرآن والمستشرقون ص ١١٩ ـ ١٢٠.

الشبهة الثانية :

دافع أبي بكر للجمع :

زعم بعض المستشرقين أن الدافع لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في جمع القرآن كان لغرض خاص به وهو أن لا يكون أقل من بعض الصحابة الذين كانوا يملكون مصحفا خاصا بهم ولم يكن هو يملك ذلك (١).

الجواب :

أن الجمع لم يكن ابتداء من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بل كان بإشارة من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقد ذكرت رواية البخاري أن أبا بكر تمنع في بادئ الأمر خوفا من أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ لذا قال لعمر : (.. كيف تفعل شيئا لم يفعله الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ..) قال ابن بطال مبينا سبب تمنع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتمنع زيد بادئ الأمر : لأنهما لم يجدا رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وزال هذا التحرج عند ما أقنعهما عمر ـ رضي الله عنه ـ بفائدة ذلك : وهو خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمعا القرآن فيصير إلى الخفاء بعد الشهرة (٢).

فالدافع إذا خوفه من ضياع شيء من القرآن الكريم بموت حفظته في معارك الإسلام أو تلف شيء من القطع التي كتب عليها القرآن مع مر السنين. لا كما زعم بعض المستشرقين وعلى رأسهم «واط» و «بلاشير» أن الدافع كان مباهاة من أبي بكر ليتساوى مع من عنده نسخة خاصة به من هذا المصحف.

---

(١) مقدمة القرآن ـ واط ص ٤١ ، ومقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٤١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١٣.

المرحلة الثالثة من الجمع :

الجمع في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ورد الشبهات التي أثيرت عليه.

الشبهة الأولى :

زعم «بلاشير» أن دافع عثمان لجمع القرآن الكريم كان دافعا ارستقراطيا ، ولمصلحة الطبقة المكية الارستقراطية التي كان يمثلها (١).

الجواب :

هذه الشبهة المزعومة من جملة أباطيلهم وتهمهم التي لا تقوم على دليل علمي. لأن الروايات الصحيحة أكدت سلامة نوايا عثمان في جمعه ، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس بن مالك : «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها من المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» (٢) رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) مقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١١ كتاب فضائل القرآن.

فالدافع لعثمان إذن لم يكن حاجة شخصية في نفسه ولم يكن لنزعته الارستقراطية كما زعم «بلاشير» وإنما كان بسبب اختلاف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في قراءة القرآن حسب تعليم معلميهم حسب الحرف الذي تلقوه من رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ حتى بلغ بعضهم أن يفضل قراءته على قراءته غيره ، وأن يكفر من لا يقرأ بقراءته (١).

أما وصف المجتمع الإسلامي بأنه فيه طبقات منها الطبقة الارستقراطية التي كان يمثلها عثمان ـ رضي الله عنه ـ على حد تعبير بلاشير المزعوم فهذا غير صحيح ؛ لأنه فهم ينطبق على المجتمع الغربي لا على المجتمع الإسلامي لأن المجتمع الإسلامي لا يعرف الطبقية فالناس فيه سواء لا فرق فيه بين الحاكم والمحكوم ، ولا بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى. فالناس فيه سواسية كأسنان المشط.

شبهة لجان الجمع القرآني :

١ ـ القضية الأولى : نزاهة أفراد اللجنة المكلفة بالجمع :

شكك «بلاشير» في اللجان التي أنيط بها مهمة جمع القرآن الكريم وأن تكليفها كان لاعتبارات خاصة لا لكفاءة اللجنة ، كما زعم أن بعض اللجان كانت خيالية ، كما زعم أن بعض اللجان الفرعية بلغت اثني عشر رجلا (٢).

الجواب :

إن الاعتبارات الخاصة التي نسبها «بلاشير» للجنة الرئيسية التي كونها عثمان وهي من القرشيين الثلاثة الذين اتهمهم «بلاشير» بأنهم طبقة ارستقراطية : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والمتزلف المتملق زيد بن ثابت ـ على حد تعبيره ـ (٣).

---

(١) نفس المرجع ٩ / ١٨ كتاب فضائل القرآن.
(٢) مقدمة القرآن ـ بلاشير ص ٥٦ ـ ٥٨.
(٣) نفس المرجع والصفحة.

فما زال «بلاشير» يزعم أن المجتمع المسلم مجتمع ارستقراطي قياسا على المفهوم الغربي مع أنه مجتمع فريد ، لا يفرق فيه بين غني وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم ، وتعاليم الإسلام ما زالت فيه غضة طرية جعلت الناس فيه طبقة واحدة ، طبقة لا يخضعون إلا لله الواحد في كل عباداتهم ، وأحكامهم ، ومعاملاتهم ، فهم في صلاتهم على بساط واحد يصومون في وقت واحد ، ويحجون في وقت واحد ، وأماكن واحدة ، وعلى هيئة واحدة ، فمن هنا يظهر سوء فهم المستشرقين للمجتمع المسلم وروحه.

أما الدافع لعثمان لتكليف هؤلاء بهذا العمل العظيم فلم يكن لما ذكره «بلاشير» من الاعتبارات ، وإنما لدافع كفاءة أفرادها دون مكانتهم الاجتماعية أو صلاتهم الخاصة.

والذي يؤكد ذلك أن ناقدي عثمان الكثر في عهده لم ينتقدوه بمثل هذه الأقوال المكذوبة بأن استعمال لجنة جمع القرآن كان لدافع نفعي ، أو غرض شخصي ، أو مصاهرة مختلفة. فهؤلاء الصحابة كانوا يتمتعون بصفات تؤهلهم لهذا العمل الجليل ، فهم من صحابة رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ومن ثقات الصحابة وأفاضلهم ، وممن شهد لهم بالإيمان والخيرية والورع والإخلاص والأمانة التامة والنزاهة المطلقة.